

# أن تكون عربياً مستشرقاً في بلاد الغرب

## الشرق تخلص من البؤس والتخلف والعيش خارج الحداثة والتطور، فهل تعقلون؟



يكفي شهرزاد ما روتته (لوحة للفنانة فطيمة سامي)

أيضا أن يغادر هذه الصورة، لكي لا تفقد حكاياتهم عناصر الإثارة والدهشة والتأثير، حتى لا يخسروا هذه الشهرة التي حققوها من لعب هذا الدور الاستشراقي الجديد.

عنه من خلال هذا الدور الذي يتحول فيه الشرق إلى مجموعة من حكايات الغريب والعجائبي والمثير التي تجد صداها العميق عند المتلقي في الغرب، وكان هؤلاء الكتاب لا يريدون لهذا الشرق

الغربي على تقديمها من موقع المركزية التي يمثلها. لذلك لم يحصل هؤلاء معهم سوى شخصية شهرزاد التي تستخدم الحكاية وسبيلة التغلب على الشعور بالنقص ومحاولة التعويض

التمثيل مع الخطابة في سرد حكايا "الزير سالم" و"أبي زيد الهلالي" وغيرهم في المقاهي القديمة. لقد كانوا يستخدمون كل وسائل الإثارة والتشويق والإيجاء لشد المستمع إليهم والتأثير فيه، وهو ما يقوم به البعض من الكتاب المتغربين الذين نجحوا في ذلك، لكن القيمة الأدبية والفكرية لهذه الأعمال التي حققت شهرتهم لا توازي ما أصبحت تتمتع به أعمالهم من شهرة وانتشار واسعين.

### تواطؤ مُمنهج

في ألمانيا كما في فرنسا أو أستراليا أو غيرها من بلدان الغرب هناك تواطؤ يحدث بين الكاتب والقارئ، من خلال قدرة الكاتب على معرفة ما يريده القارئ الغربي، وهو ما يظهر من خلال أعمالهم التي تركز على العنصر الدرامي والإثارة والتشويق في حكاياتهم الاجتماعية والعاطفية التي يروونها، ولكن بصفتهم أبطالها أو خبروها.

وفي هذه الحكايات يظهر التركيز على نيمات محددة تتعلق بالدين والعادات الاجتماعية والكبت الجنسي والمرأة، ما يجعلهم في هذه الاختيارات وطرق تقديمها يحاولون منافسة المستشرقين الغربيين في إضفاء عنصر الدراما والتشويق عليها.

إن إخفاء الوجه الآخر من الشرق والتعظيم على الجوانب الإيجابية في حياة مجتمعاته، هو تكريس لنمطية الصورة المعتادة عن الشرق، وقد كان يمكن لهؤلاء الكتاب أن يكونوا جسور تواصل ومعرفة بين الغرب والشرق من خلال أعمال الترجمة المتبادلة من أجل تغيير هذه الصورة النمطية وتحقيق التفاعل الإيجابي بين هاتين

الثقافتين، لكن البحث عن أمجادهم الخاصة والشهرة والمنفعة جعلهم يختارون الدور الذي يختصر الطريق أمامهم لبلوغ هذه الأهداف، خاصة وأن الكتاب العرب لم يتوقفوا عن عرض قضايا الشرق الاجتماعية والسياسية والعاطفية في أعمالهم، لكن من منظور آخر وبطرق وأساليب مختلفة، لأنها تنطلق من وعي يسعى لتحرير الواقع من عوامل التخلف والضياع والقهر وليس بهدف استثمار هذا الواقع.

يمكن للقارئ أن يتفهم أسباب هجرة هؤلاء الكتاب ولجوئهم للغرب، لكن ما ليس مفهوماً أن يحاول البعض منهم تقديم أنفسهم وكأنهم كانوا أحرار، تتعالى عليه فلا ترى فيه إلا هذه الصورة النمطية التي اعتاد الاستشراق

ما انفكت كلمة الاستشراق، ولا زالت، منذ كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق" المنشور في العام 1978 تدل على المفهوم السلبي وتنطوي على التفاسير المضرة والقديمة للحضارات الشرقية والناس الشرقيين. الأمر الذي يغذي عن قصد تلك النظرة الدونية للمجتمعات الغربية تجاه البنى الثقافية للشرق من وجهة نظر الآخر البعيد، لكن أن يتواطأ الكاتب العربي مع القارئ الغربي، من خلال قدرة الأول على معرفة ما يريده الثاني، فتلك مسألة أخرى، تبدو عبثية لكنها موجودة.

العوامل النفسية والثقافية والتاريخية والسياسية، وبالتالي يمكن فهم الأسباب الموضوعية والذاتية التي ساهمت في تنميط هذه الصورة واستمرارها، فإنه ليس مفهوماً أن يكون الاستشراق العربي الذي ما زال البعض من الكتاب الذين استقروا في الغرب يحاولون التماهي معه، ويؤدون الدور الذي يعزّز هذه الصورة النمطية، وكان الشرق لم يغادر هذا الإطار القديم من البؤس والتخلف والعيش خارج الحداثة والتطور.

هؤلاء الكتاب الاستشراقيون الذين باتوا يبيعون الغرب البضاعة التي يريد، هم في حقيقة الأمر يحاولون أن يخرجوا من جلودهم في محاولة للتعويض عن النقص الذي يجعلهم استشراقيين أكثر من مستشرفي الغرب.

كاتبة من بلد عربي لم تكد تصل إلى بلدان الغرب حتى بدأت بكتابة رواية عن جرائم الشرف التي ترتكب بحق المرأة، مدعية أن هذه الرواية التي كتبتها هي روايتها التي دفعتها للهرب من بلدها واللجوء إلى الغرب. لكن هذه الحكاية الدرامية المؤثرة سرعان ما كشفت الصحافة هناك أنها حكاية مختلفة حاولت كاتبته من خلال هذا الادعاء خلق حالة أكبر من التشويق والتعاطف معها والشهرة.

إن هذا الاستشراق العربي الذي يحاول أن يكون المرأة التي يريد الغرب أن يرى صورتنا فيها، كثيرا ما ينجح في أهدافه فيحقق الشهرة

الواسعة لأصحابها، حتى أصبح البعض منهم ينافس كتاب البلد الذي يعيشون فيه من حيث الانتشار وحجم مبيعات أعمالهم والمردود المادي الكبير، بينما هناك كتاب يفشلون في هذه المهمة، ربما لأسباب تتعلق بعدم معرفة طرق تحقيق هذه الشهرة في عالم تبحث فيه مؤسسات النشر عن الربح.

ولا شك أن هؤلاء الكتاب يجيدون القص ووصف التفاصيل التي تشكل عناصر إثارة وتشويق مهمة بالنسبة للقارئ الغربي، وهؤلاء يذكروننا بالأدوار التي يؤديها الحكواتي حيث يختلط

مفيد نجم  
كاتب سوري



لم تكن ترجمة كتاب حكايات ليلة وليلة إلى اللغة الفرنسية عام 1704 مجرد حدث عادي في تاريخ العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب، نظرا للأثر الكبير الذي خلفته في تكوين صورة الآخر المختلف في المخيال الغربي. وسيكون للاستشراق الغربي التشكيلي والأدبي والديني دوره في تعميق هذه الصورة وتعزيز حضورها وتنميطها حتى أصبح العقل الغربي عاجزا عن التخلص من تأثيرها.

في بلدان الغرب هناك تواطؤ يحدث بين الكاتب والقارئ، من خلال قدرة الكاتب على معرفة ما يريده القارئ الغربي

إن هذه الصورة النمطية التي أصبحت تُوَطر صورة الشرق في وعي الإنسان الغربي ما زالت تعبر عن نفسها في عملية التلقي والاستقبال لكل ما يمكن أن يكتب عن هذا الشرق، خاصة إذا كان الكاتب أو الكاتبة من أبناء هذا الشرق، ويجيد استخدام هذه الصور النمطية في ما يكتب عنه.

### صورة نمطية

إن هذا الصدى الذي تجده في هذه الكتابات عند القارئ الغربي لا ينبع من القيمة الأدبية والجمالية لها، لاسيما الروائية منها، بل من قدرتها على تقديم الصورة التي يبحث عنها هذا القارئ ولا يريد أن يرى عالم الشرق إلا من خلالها، سواء لغاية البحث عن الغريب والإثارة، أو رغبة في رؤية ما يطابق النموذج الذي استقر في ذهنه، ويمنحه الشعور بالتفوق والاختلاف عن الآخر.

لكن إذا كان العقل الاستشراقي الغربي يستند في رؤيته هذه إلى جملة من

## «العازف المتسامح» الإماراتي

### ينشر قيم التحاب بفنون العرائس

العرض يحمل الكثير من الأفكار والرسائل التربوية الهادفة، كأهمية الثقافة والعلم والفن في تمهيد الطريق لغد أفضل

وشارك الناشئة في تقديم اقتراحات لونية لملايس شخصيات العرض، وبرعوا في التعبير بالعراس ذات الفم المتحرك "مابيت"، وابتكروا حركات إضافية من مخيلتهم، إضافة إلى التعاون والعمل بروح الفريق في تحريك الديكور، والمهنية في التعامل داخل منطقة العرض.

وعرض "العازف المتسامح" مأخوذة حكايته عن قصة "نافخ البوق" للكاتب روبرت براونينغ، من إعداد الكاتبة لمياء الراعي، وتدريب وإشراف عدنان سلوم بمساعدة مجموعة من المختصين وهم: غلال جابي وحنان عقل في التنفيذ الفني للعراس وصناعتها، والأستاذ المحوashi في مهارات التحريك، وجسار قدور في الأداء الحركي، وسامر الفقيه في الشريط الصوتي والموسيقي، وعمار عيسى في اكتمال نص السيناريو، وبمشاركة 10 ناشئين من فريق مركز ناشئة واسط المسرحي.

القادة في الهيئة العامة للرياضة ونخبة من خبراء ونجوم المسرح في الإمارات والوطن العربي وعد من مدرّاء مراكز ناشئة الشارقة ومنتسبيها وأولياء الأمور. وطمح الناشئة مهاراتهم المكتسبة في تصميم العرائس وتحريكها، والإداء التمثيلي خلال العرض الذي حمل الكثير من الأفكار والرسائل التربوية الهادفة، تمثلت في نشر قيم التسامح والتحاب والصدق والمحافظة على الوعد، إضافة إلى أهمية الثقافة والعلم والفن في تمهيد الطريق لغد أفضل.



عازف متسامح بأداء فني حركي

## البحرين تنقل المعارف

### عن «الفكر في الصين اليوم»

كما نشر أيضا "محتوى الشكل، الخطاب السردى والتمثيل التاريخي" لهيدين آيت و"منطق الكتابة وتنظيم المجتمع" لجاك غودي و"تاريخ اجتماعي لوسائط التواصل" لاسا بريغز وبيتر بُرك و"الباب: مقاربة إثنولوجية" لباسال ديبلي و"الأمكنة، مدخل إلى أنثروبولوجيا الحداثة المفرطة" لمارك أوجيه و"علمنا الافتراضي: ما هو؟ وما علاقته بالواقع" لبير ليفي، و"هل يجب التفكير في تاريخ العالم بطريقة

وهي الطريقة التي تختلف، بالضرورة، عن الطريقة الغربية اختلافا جذريا، مهما كانت النظرة إليها، سواء من زاوية الإعجاب أو الذمّ.

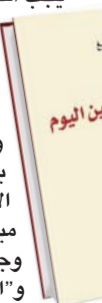
كتاب "الفكر في الصين اليوم" هو الإصدار الواحد والثلاثون لمشروع نقل المعارف التابع لهيئة البحرين للثقافة والآثار. وقد كان أصدر قبل هذا الكتاب الكتب المترجمة التالية:

"تفكير: مدخل أخصّاذ إلى الفلسفة" لسايمن بلاكيرن، و"لغات الفردوس" للمؤرخ موريس أولندر، و"هل اعتقد الإغريق بأساطيرهم: بحث في الخيال المكون" للكاتب بول فاين، و"التحليل النفسي: علما وعلاجاً وقضية" لعالم التحليل النفسي مصطفي صفوان، و"الزمن أطالاً" لعالم الأنثروبولوجيا لمارك أوجيه، و"أصول الفكر الإغريقي" للمؤرخ جان بيير فرنان، و"الأبجديات الثلاث: اللغة والعدد والرمز" للباحثة كلاريس هيرنشميت، و"نهاية العالم كما نعرفه" لعالم الاجتماع إيمانويل فالرشتاين، و"قصة الفن: مدخل استثنائي لتاريخ الفن" لرنست غومبرتش، و"إبشتاين بيكاسو: المكان والزمان والجمال الذي ينشر الفوضى" لآرثر ميلر.

خلال القرون الثلاثة الأخيرة التي شهدت تكوّن الحداثة الغربية وسيطرتها، تكونت عن الصين وترسخت صورة صين صاحبة كتابة رمزية، خاضعة لموروث استبدادي، معزولة عن سائر بقاع العالم، طوال قرون، وهو ما يفسر جمودها الفلسفي والسياسي والعلمي الذي جاء الغرب في الوقت المناسب لإيقاظها منه. فحين نظر إلى كل هذه الترهات، سوف نجد، بالتأكيد، بصيغ مختلفة وعلى مستويات متفاوتة التنميط، في عدد لا بأس به من المؤلفات الراجحة.

وعلياً أن نضيف أن هذه المؤلفات لم تُعد، في المقابل، أن تمارس تأثيراً كبيراً في طريقة النخب الصينية تنظر بها إلى ثقافتها الخاصة، سواء في انتقاد الذات أو، خلافاً لذلك كما هو الحال منذ فترة وجيزة، في مدح هذه الذات مدحا معزّزا بشعور قومي متزايد النخوة. هناك مجموعة أفكار مسبقة تعلقت بالصين ولا تزال سائدة حتى في بداية ألبينا الثالثة، وعلياً أن نفضح عن كونها سائدة بالخصوص بين نخبة الملقية بـ"المستنيرة"، وهي أفكار يعود أغلبها، في واقع الأمر، إلى أوروبا الأثوار.

ولأن هذه الأفكار وُلدت وترعرعت، تحديداً، في بيئة منتقاة، فإنها تركز، قبل كل شيء، على طريقة تفكير الصينيين،



بول ويلام وغيرهما من الكتب المرجعية.